طغيانا وكفرا قوله تعالى فلا تأس على القوم الكافرين يعني ولا تحزن يا محمد على هؤلاء اليهود الذين جحدوا نبوتك ولم يؤمنوا بك فإنما يعود ضرر ذلك الكفر عليهم قوله عز وجل إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى لما بين الله تعالى أن أهل الكتاب ليسوا على شيء ما لم يؤمنوا بين في هذه الآية أن الحكم عام في كل أهل الملل وأنه لا يحصل لأحد منهم فضيلة ولا منقبة إلا إذا آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا يرضاه ومن العمل الصالح الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم لأنه لا يتم الإيمان إلا به وقد تقدم تفسير هذه الآية في سورة البقرة وقوله تعالى والصابئون وظاهر الإعراب يقتضي أن يقال والصابئين وكذا قراءة أبي بن كعب وابن مسعود وابن كثير من السبعة وقرأ الجمهور بالرفع ومذهب الخليل وسيبويه أنه ارتفع الصابئون بالابتداء على نية التأخير كأنه قيل إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والصابئون كذلك فحذف خبره والحكمة في عطف الصابئين على من قبلهم هو أن الصابئين أشد الفرق المذكورين في هذه الآية ضلالا فكأنه قال كل هؤلاء الفرق إذا آمنوا وأتوا بالعمل الصالح قبل الله توبتهم حتى الصابئون فإنهم إذا آمنوا كانوا أيضا كذلك وإنما سموا صابئين لأنهم صبوا عن الأديان كلها بمعنى خرجوا لأنهم صبوا إلى اتباع الهوى والشهوات في دينهم ولم يتبعوا ما جاءت به الرسل من عند الله فإن قلت كيف قال الله تعالى في هذه الآية إن الذين آمنوا ثم قال في آخر الآية من آمن فما فائدة هذا التكرار قلت فائدته أن المنافقين كانوا يظهرون ويزعمون أنهم مؤمنون ففي هذا التكرار إخراجهم من قبيل المؤمنين فيكون معنى الآية إن الذين آمنوا بألسنتهم لا بقلوبهم ثم قال من آمن يعني من ثبت على إيمانه ورجع عن نفاقه منهم وقيل فيه فائدة أخرى وهو أن الإيمان يدخل تحته أقسام كثيرة وأشرفها الإيمان بالله واليوم الآخر ففائدة التكرار التنبيه على أن أشرف أقسام الإيمان هذين القسمين وفي قوله تعالى من آمن بالله حذف تقديره من آمن بالله واليوم الآخر منهم وإنما حسن هذا الحذف لكونه معلوما عند السامعين وعمل صالحا يعني وضم إلى إيمانه العمل الصالح وهو الذي يراد به وجه الله تعالى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون يعني في الآخرة قوله عز وجل لقد أخذنا ميثاق بني إسرائيل يعني أخذنا العهود عليهم في التوراة بأن يعملوا بما فيها من التوحيد والعمل بما أمرناهم به والانتهاء عما نهيناهم عنه وأرسلنا إليهم رسلا يعني ببيان الشرائع والأحكام كلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم يعني بما لا يوافق أهواءهم وبما لا تشتهيه أنفسهم من مشقة التكاليف والعمل بالشرائع (بجانب) فريقا كذبوا يعني من الرسل وفريقا يقتلون يعني من الرسل الذين جاءوهم وكان فيمن كذبوا عيسى ومحمد صلى الله عليهما وسلم وكان فيمن قتلوا زكريا ويحيى عليهما السلام وإنما فعلوا ذلك نقضا للميثاق وجرأة على الله عز وجل ومخالفة لأمره قوله تعالى وحسبوا يعني وظن هؤلاء الذين كذبوا الرسل وقتلوا الأنبياء ألا تكون فتنة يعني أن لا يعذبهم الله ولا يبتليهم بذلك العمل الذي فعلوه وإنما حملهم على هذا الظن الفاسد أنهم كانوا يعتقدون أن كل رسول جاءهم بشرع آخر غير شرعهم يجب عليهم تكذيبه وقتله فلهذا السبب حسبوا أن لا يكون فعلهم ذلك فتنة يبتلون بها وقيل إنما فعلوا ذلك لاعتقادهم أن آباءهم وأسلافهم يدفعون عنهم العذاب في الآخرة فعموا وصموا يعني أنهم عموا (أن) عن الحق فلم يبصروه وصموا عنه فلم يسمعوه وهذا العمى هو كناية عن عمى البصيرة وكذلك الصمم هو كناية عن منع وصول الحق إلى قلوبهم وسبب ذلك شدة جهلهم وفرط كفرهم وإعراضهم عن قبول الحق قال بعض المفسرين سبب هذا العمى والصمم عبادة العجل في زمن موسى عليه السلام ثم تاب الله عليهم يعني أنهم لما تابوا عن عبادة العجل تاب الله عليهم ثم عموا وصموا يعني بعد ذلك في زمان زكريا ويحيى عليهما السلام لأنهم كذبوا عيسى وقتلوا زكريا ويحيى وقيل إن العمى والصمم الأول كان بعد موسى ثم تاب الله عليهم يعني ببعثة عيسى عليه السلام ثم عموا وصموا

يعني بسبب

يعني بسبب الكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم كثير منهم من اليهود لأن بعضهم آمن بمحمد صلى الله عليه وسلم مثل عبد الله بن سلام وأصحابه والله بصير بما يعملون يعني من قتل الأنبياء وتكذيب الرسل قوله عز وجل لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم لما حكى الله عن اليهود ما فعلوه من نقضهم الميثاق وقتلهم الأنبياء وتكذيبهم الرسل وغير ذلك شرع في الإخبار عن كفر النصارى وما هم عليه من فساد الاعتقاد فقال تعالى لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم وهذا قول اليعقوبية والملكانية من النصارى لأنهم يقولون إن مريم ولدت إلها ويقولون إن الإله جل وعلا حل في ذات عيسى واتحد به فصار إلها تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا وقال المسيح يا بني إسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم يعني وكان المسيح قال هذا لبني إسرائيل بل أعلم مبعثه إليهم وهذا التنبيه على ما هو الحجة القاطعة على فساد قول النصارى وذلك لأنه عليه السلام لم يفرق بينه وبين غيره في العبودية والإقرار لله بالربوبية وأن دلائل الحدوث ظاهرة عليه إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة يعني إنه من يجعل له شريكا من خلقه فقد حرم الله عليه الجنة يعني إذا مات على شركه ومأواه النار يعني أنه يصير إلى النار في الآخرة وما للظالمين يعني وما للمشركين الذين ظلموا أنفسهم بالشرك من أنصار يعني ما لهم من أنصار ينصرونهم ويمنعونهم من العذاب يوم القيامة قوله تعالى لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة وهذا قول المرقوسية والنسطورية من النصارى ولتفسير قول النصارى طريقان أحدهما وهو قول أكثر المفسرين إنهم أرادوا بهذه المقالة أن الله ومريم وعيسى آلهة ثلاثة وأن الإلهية مشتركة بينهم وأن كل واحد منهم إله ويبين ذلك قوله تعالى أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله فقوله ثالث ثلاثة فيه إضمار تقديره أن الله أحد ثلاثة آلهة أو واحد من ثلاثة آلهة قال الواحدي ولا يكفر من يقول إن الله ثالث ثلاثة ولم يرد به أنه ثالث ثلاثة آلهة لأنه ما من اثنين إلا والله ثالثهما بالعلم ويدل عليه قوله تعالى في سورة المجادلة ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لأبي بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما والطريق الثاني أن المتكلمين حكوا على النصارى أنهم يقولون جوهر واحد ثلاثة أقانيم أب وابن وروح القدس وهذه الثلاثة إله واحد كما أن الشمس اسم يتناول القرص والشعاع والحرارة وعنوا بالأب الذات وبالابن الكلمة وبالروح الحياة وأثبتوا الذات والكلمة والحياة وقالوا إن الكلمة التي هي كلام الله اختلطت بجسد عيسى اختلاط الماء باللبن وزعموا أن الأب إله والابن إله والروح إله والكل إله واحد واعلم أن هذا الكلام معلوم البطلان ببديهة العقل فإن الثلاثة لا تكون واحدا والواحد لا يكون ثلاثة ولا يرى في الدنيا مقالة أشد فسادا ولا أظهر بطلانا من مقالة النصارى وعلى هذا الذي أخبر الله عنهم في قوله لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة فهذا معنى مذهبهم وإن لم يصرحوا بأنه واحد من ثلاثة آلهة فذلك لازم لهم وإنما يمتنعون من هذه العبارة لأنهم إذا قالوا إن كل واحد من الأقانيم إله فقد جعلوه ثالث ثلاثة وقولهم بعد هذا هو إله واحد فيه مناقضة لما قالوا ولا يخفى بطلان وفساد قول النصارى ثم رد الله عليهم فقال تعالى وما من إله إلا إله واحد يعني أنه ليس في الوجود إلا إله واحد موصوف بالوحدانية لا ثاني له ولا شريك له ولا والد له ولا ولد له ولا صاحبة له إلا الله تعالى وإن لم ينتهوا عما يقولون يعني وإن لم ينته النصارى عن هذه المقالة الخبيثة ليمسن الذين كفروا منهم عذاب أليم يعني ليصيبن الذين أقاموا على هذا القول الخبيث وهذا المذهب الذي ليس بمرضي عذاب وجيع في الآخرة وإنما قال تعالى منهم لعلمه أن سيؤمن من النصارى من يؤمن ويترك هذا القول ويعلم أنه فاسد ثم ندب سائر النصارى إلى التوبة من هذه المقالة فقال تعالى أفلا يتوبون إلى الله يعني من قولهم بالتثليث ويستغفرونه وهذا استفهام بمعنى الأمر أي توبوا إلى الله واستغفروه من هذا الذنب العظيم فإن الله تعالى يغفر الذنوب والله غفور يعني لمن استغفره وتاب إليه رحيم به وبسائر خلقه قوله عز وجل ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل يعني أن المسيح رسول من الله عز وجل ليس بإله كما أن الرسل الذين